الانسان وذلك لسببين اولًا لانَّ هذه الخيرات لا سيما المال كثيرًا ما تكون داعياً للظلم بالمبايعات والمعاملات والدعاوى الباطلة والسرقات وغير ذلك. ثانياً لأن الانسان عادةً يتصرَّف بها تصرُّف السيد بمالهِ وهو وكيل عليها ليس الَّا فيستبدّ بها ويؤدي بهِ استبداده الى ان يبخل بقسم منها على الفقراء والمحتاجين وذوي البأساء فهو من هذا القبيل ايضاً اشبه بوكيل الظلم اذ يبذّر اموال الله على غير هداية

ومن هذا يتضح ان مثل وكيل الظلم ليس فيهِ شيءٌ يخلُّ بتعاليم السيد المسيح في كلّ الاناجيل الطاهرة وبهِ تسقط حجّة يليانوس الجاحد وبعض الملحدين مثلهُ الذين خبطوا خبط عشواء لمَّا زعموا بانَّ المسيح عمَّم في هذا المثل التلاعب بمال الناس ولو تمعَّنوا في كلامهِ تعالى لرأوا انهم في ضلال مبين

﴿ خلاصة القول ﴾ ليس هذا المثل سوى تحريض للمؤمنين ابناء النور كي يرتشدوا من اعمال ابناء الدهر الباطلة وبينما نرى هؤلاء لا يدَّخرون وسعاً لادراك مآربهم الفاسدة وجب بالاحرى على اولئك ان يستفرغوا المجهود في ادراك غاياتهم الصالحة وخلاص نفوسهم. واقرب وسيلة الى ذلك ان يصرفوا حطام هذه الدنيا في اعمال الرحمة كما يتَّخذ اهل العالم تلك الاموال على ايّ طريقة كانت امَّا جورًا وامَّا عدلًا للنجاة من اكدار هذه الحياة

كتاب

طبقات الامم

للقاضي ابي القاسم صاعد بن احمد بن صاعد الاندلسي

سمى بنشره وتعليق حواشيه الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

كتاب طبقات الامم احد الكتب النادرة التي تعرَّض فيها كتبةُ العرب لوصف العلوم بين الامم التي سبقت عهدهم. وان لم يبلغ صاحبهُ في ذلك شأو كتاب الفهرست لابي الفرج ابن

القدم الّا انهُ جمع عدّة فوائد تدلُّ على نشاط في البحث وعلى رغبة في التحصيل ودقّة نظر في المدوّنين وكان اهل الاندلس يفتخرون بهِ ويروونهُ لاهل الشرق. وقد ذكر ابن الابّار في كتاب التكملة لكتاب الصلة (٣: ٤٦٢ من طبعة بجريط) عن عبدالله بن محمّد بن مرزوق العجمي انهُ لمّا قدم الاسكندريّة روى هذا الكتاب لابي طاهر السلفيّ

وممّن عرفوا هذا الكتاب في الشرق ابو الفرج غريغوريوس ابن العبريّ فانهُ نقل عنهُ في كتابهِ تاريخ مختصر الدول (ص ١٥٨ و ٢٣٥ من طبعتنا اليسوعيّة) نبذتين مفيدتين في العرب رعلوهم. وكذلك عرفهُ الحاج خليفة فذكرهُ مرارًا في كتابهِ كشف الظنون فدعاهُ تارةً (في ٢: ٢١٨ من طبعة ليبسيك) التعريف بطبقات الامم وقال في وصفهِ انهُ كتاب صغير الحجم كثير النفع. وتارةً (٤: ١٢٣) كتاب طبقات الامم بل نقل عنهُ فصلًا طويلًا في علم الرصد (٣: ٤٦٥) وكفى بهذه المنقولات دليلًا على اعتبار القدماء للكتاب ومؤلفهِ

ومع عظم شأن هذا الكتاب ليس منهُ الّا نسختان كاملتان في خزائن الكتب الشرقيّة في اوربّة وكلتاهما في مكتبة لندن تاريخ الواحدة (الموسومة بعدد ٣٨١) سنة ٩٨٢ هـ ١٥٧٤ م والثانية حديثة (عددها ١٦٢٢) كُتبت سنة ١٢٦٧ هـ ١٨٦٢ م. ويوجد منهُ تعليقات ومنتخبات في مخطوطات اخرى في مكتبتي لندن (العدد ١٥٠٣) وليدن من اعمال هولندا (العدد ٢٥٩٤) امّا في بلاد الشرق فلا يُعرَف منهُ نسخة مخطوطة حتى اسعدنا الحظ على اكتشاف واحدة منها عند بعض الورّاقين في دمشق فحصلنا عليها قبل ثلاث سنوات بطريقة البيع فاطّلعنا عليها بكامل الرغبة وقصدنا مذ ذاك الحين نشرها في صفحات المشرق فلم تسنح لنا الفرصة قبل هذا الوقت. وهذه النسخة لا يتجاوز عهدها مائتي سنة بل اقلّ من ذلك وليس فيها تاريخ وهي مكتوبة بخطّ جليّ شبيه بالقلم الفارسي على ورق صفيق ضارب الى الصفرة ومجلّدة تجليدًا متقنًا بجلد وورق ملوّن وأطُر ذهبيّة على الوجهين مع لسان مثابا زينةً. والنسخة بالاجمال حسنة مع ما وقع فيها من الاغلاط التي امكننا اصلاح اكثرها فنبّهنا عليها في ذيل طبعتنا

امّا المؤلف فلا نعلم الّا القليل من امرهِ. وهذه ترجمتهُ كما رواها ابن بشكوال في كتاب الصلة (طبعة بجريط ص ٣٢٤) قال عنهُ:

« صاعد بن لحمد بن عبد الرحمان بن محمّد بن صاعد التغلبي قاضي طليطلة يكنّى ابا قاسم راصلهُ من قرطبة روى عن ابي محمّد بن حزم والفتح بن قاسم وابي الوليد الوقشي وغيرهم. واستقضاهُ المأمون يحيى بن ذي النون بطليطلة وكان متحرّيًا في امورهِ واختار القضاء باليسير مع الشاهد الواحد في الحقوق وبالشهادة على الخطّ وتوفّي بذلك ايّام نظرهِ وكان من اهل المعرفة والذكاء والرواية والدراية. وُلد بالمرّية في سنة ٤٢٠ (١٠٢٩ م) وتوفي بطليطلة وهو قاضيها في شوّال سنة اثنتين وستّين واربع مائة (١٠٧٠ م) وصلّى عليهِ يحيى بن سعيد بن الحديدي. ذكر بعضهُ ابن مطاهر »

هذا ما وجدناهُ من ترجمتهِ على انّ الكتبة تصرّفوا في ايراد اسمهِ فسمّوهُ ابن صاعد (الحاج خليفة ٤: ١٢٤) او صاعد المالقي (٢: ٢١٨) او القرطبي (٤: ١٢٣) وقد وهم الحاج خليفة في ذكر وفاتهِ مرّتين في سنة ٢٥٠ والصواب ٤٦٢ كما مرّ. ولابي القاسم صاعد المترجم عدّة

تآليف جاء ذكر بعضها في كشف الظنون للحاج خليفة منها (٢ : ٦٢٦) كتاب جوامع اخبار الامم من العرب والعجم ذكره في كتاب تعريف طبقات الامم كما سترى ومنها (٦ : ١١١ و ١٢٤) كتاب صوان الحكم في طبقات الحكماء. ولصاعد كتابان آخران ذكرهما لنفسه في اثناء كلامه عن علوم الهند والفرس دعاه كتاب مقالات اهل الملل والنحل وكتاب اصلاح حركات النجوم. كذلك روى القزويني (Casiri: *Bibl. Arab. Hisp.* II, 241) عن مخطوطات الاسكوريال انّ لصاعد تاريخًا للاندلس وتاريخًا للاسلام وكل هذه الكتب مفقودة لا يُعرف منها شيء في خزائن الكتب العمومية ولعلّها عند بعض الخاصّة فعسى تخرج يومًا من دفائنها

(2) بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسّر

قال القاضي ابو القاسم صاعد بن احمد بن صاعد رحمه الله تعالى اعلم انّ جميع الناس في مشارق الارض ومغاربها وجنوبها وشمالها وان كانوا نوعًا واحدًا يتميزون بثلثة اشياء بالاخلاق والصور واللغات (١

[الباب الاول: الامم القديمة (٢]

وزعم من عُني باخبار الامم وبحث عن سائر الاجيال وفحص عن طبقات القرون انّ الناس كانوا في سالف الدهور وقبل تشعب القبائل وافتراق اللغات سبع امم

(الامّة الاولى) الفرس وكان مسكنها في الوسط المعمور وحدُّ بلادها من الجبال التي في شمال العراق المتصل بعقبة حلوان والذي فيه انجاهات (؟) والكرج والدينَوَر وهَمَذان ورُيّ وقاشان وغيرها من البلاد الى ارمينية والباب المتصل ببحر اذربيجان وطبرستان ومَرْلتان والبيلقان وارزن (٣ والشابران (؟) والريّ والطالقان وجرجان الى بلاد خراسان كنيشابور والمرو وسرخس وهراة وخوارزم وبلخ وبخارا

١) وزد عليها رابعًا الاديان
٢) ليس في الاصل ذكر للابواب وانّما اوردناها تيسيرًا للطالب
٣) في الاصل إذان

وسمرقند وفرغانة والشاش وغيرها من بلاد خراسان الى بلاد بتجستان (١ وكرمان وفارس والاهواز واصبهان وما اتصل بهـا كلّ هذه البلاد كانت مملكة واحدة ملكُها واحد ولسانها واحد فارسي الّا انهم كانوا يتبايَنون في شيء يسير من اللغات ويجتمعون في عدد (3) الحروف وصورة تأليفها ويخرجهم اختلافهم بعد ذلك في سائر الاشياء من تلك اللغة كالفهلوية والزرديّة (٢ وغيرها من لغات فارسون (كذا)

(والأمّة الثانية) الكلدانيون وهم السريانيُّون والبابليون وكانوا شعوباً منهم الكوثليون (كذا) والاثوريُّون والارمانيون والجرامقة وهم اهل الموصل والنبط وهم اهل سواد العراق وكانت بلادهم في وسط المعمور ايضاً وهي العراق والجزيرة التي ما بين دجلة والفرات المعروفة بديار ربيعة ومضر (٣ والشام وجزيرة العرب التي بين الحجاز ونجد وتهامة والغور واليمن كلّها مـا بين زبيد الى صنعاء وعدن والعروض والشِحْر (٤ وحضرموت وعمان وغيرها من بلاد العرب. وكانت هذه البلاد واحدة ملكها واحد ولسانها واحد سرياني وهو اللسان القديم لسان آدم عليـه السلام وادريس ونوح وابراهيم ولوط عليهم السلام وغيرهم (٥

ثم تفرّعت اللغة العبرانيّة والعربيّة من اللغة السريانيّة فغلب العبرانيُّون وهم بنو اسرائيل على الشام فسكنوها وغلبت العرب على البلد المعروف بجزيرة العرب المتقدّم ذكرها وعلى الجزيرة المعروفة اليوم بديار ربيعة ومضر فسكنوا جميع ذلك وانكشت بقيّة السريانيين الى العراق وكانت دار مملكتهم العظمى منها مدينة كالوادي (كذا وذى)

(والأمّة الثالثة) اليونانيون والروم والافرنجة والجلالقة [والبرجان والصقالبة والروس والبُرغر (٦ واللان وغيرهم من الامم التي حوالي بحر نيطش وبحيرة مانيطش

---

١) كذا ولعلّهُ يريد سجستان

٢) كذا ولعلهُ تصحيف الزنديّة (le zend)

٣) في الاصل ومصر وهو تصحيف

٤) في الاصل والشجر وهو غلط

٥) هذا رأي لم يوافق عليه العلماء في يومنا بعد الاكتشافات الحديثة في جهات بابل وفي جزيرة العرب وغيرها. وكذلك قول المؤلف عن تفرُّع اللغات وعددها واختلافها فيه نظر

٦) في الاصل تبرجان والورس والبرغز بالغلط

وغيرها من المواضع التي في الربع الغربيّ والشمال من معمور الارض كانت مملكتهم ولغتهم واحدة

(والأمّة الرابعة) القبط وهم اهل مصر واهل الجنوب وهم اصناف السودان من الحبشة والنوبة والزنج وغيرهم من اهل المغرب وهم البرابر ومن اتّصل بهم الى بحر اقنابس (١ الغربيّ المحيط لغتهم واحدة ومملكتهم واحدة

(والأمّة الخامسة) اجناس الترك من الجرميّسة وكيماك والتغزغز (٢ والخزر والسرير وجيلان وخوزان (٣ وطيلسان (٤ وكشك وبرطاس كانت لغتهم واحدة ومملكتهم واحدة

(والأمّة السادسة) الهند والسند ومن اتّصل بهم لغتهم واحدة وملكهم واحد

(والأمّة السابعة) الصين ومن اتّصل بهم من سكّان بلاد عامور بن يافث بن نوح عليه السلام مملكتهم واحدة ولغتهم واحدة

فهذه الامم السبعة كانت محيطة بجميع البشر وكانوا جميعاً صابئةً يعبدون الاصنام تمثيلًا بالجواهر العلويّة والاشخاص الفلكيّة من الكواكب السبعة وغيرها ثمّ افترقت هذه الامم السبعة وتشعّبت لغاتهم وتباينت اديانهم

[الباب الثاني: اختلاف الامم وطبقاتها بالاشتمال]

قال صاعد ووجدنا هذه الإمم على كثرة فرقهم وتخالف مذاهبهم طبقتين. فطبقة عُنيت بالعلم فظهرت منها ضروب العلوم وصدرت عنها فنون المعارف. وطبقة لم تُعنَ بالعلم عناية تستحقّ بها اسمهُ بعد مَن امتثلهُ (٥ فلم يُنقل عنها فائدة حكمة ولا رُوّيت بها فتيجة فكرة. فاما الطبقة التي عُنيت بالعلوم فثمانية امم الهند والفرس والكلدانيّون والعبرانيّون واليونانيّون والروم واهل مصر والعرب. واما

١) والصواب بحر قابس

٢) في الاصل ليساك والطغزغز وهو تصحيف

٣) في الاصل حوران وهو غلط. امّا جيلان ويقال كيلان فقريبة من الدّيلم. والسّرير على ما قال ياقوت في معجم البلدان (٣: ٨٨) مملكة واسعة بين اللان وباب الابواب اهلها نصارى

٤) في الاصل طيلستان وطيلسان. من اقاليم الخزر والديلم

٥) هذه العبارة في الاصل مبهمة

الطبقة التي لم تُعنَ بالعلوم فبقية الامم بعد من ذكرنا من الصين وياجوج وماجوج والترك وبرطاس والسرير والخزر (١ وحوران وكشل (؟) واللان والصقالبة والبُرغر (والبلغر) والروس والبرجان والبرابر واصناف السودان من الحبشة والنوبة والزنج وعانة وغيرهم

[الباب الثالث: الامم التي لم تُعن بالعلوم]

وانسب هذه الامم التي لم تُعن بالعلوم الصين والترك

فاما (الصين) فاكثر الامم عدداً وافخمها مملكة واوسعها داراً ومساكنهم محيطة باقصى المشارق المعمور ما بين خطّ معدّل النهار الى اقصى الاقاليم السبعة في الشمال. وحظّهم من المعرفة التي أيدور فيها مناجد الامم (٢ اتقان الصنائع العمليّة واحكام المِهَن التصوّريّة. فهم اصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الاعمال ومقاساة النصَب في تحسين الصنائع

واما (الترك) فأمّة كثيرة العدد ايضاً فخمة المملكة ومساكنهم ما بين مشارق خراسان من مملكة الاسلام (5) وبين مغارب الصين وشمال الهند الى اقصى المعمور الشمالي. وفضائلهم (٣ التي برعوا فيها واحرزوا خصلتها معاناة الحروب ومعالجة آلاتها فهم احذق الناس بالفروسيّة والثقافة وأبصرهم بالطعن والضرب والرماية

واما سائر هذه الطبقة التي لم تُعنَ بالعلوم فهم اشبه بالبهائم منهم بالناس لأنّ من كان منهم موغلاً في بلاد الشمال ما بين آخر الاقاليم السبعة (٤ التي هي نهاية المعمور في الشمال. فإفراط بُعد الشمس عن مُسامتة رؤوسهم بَرَّد هواءهم وكثف جوّهم فصارت لذلك امزجتهم باردة واخلاطهم فجّية فعظمت ابدانهم وابيضّت

١) في الاصل الجزر تصحيف
٢) الاصل مُبهم
٣) الاصل فضيلتهم
٤) ذلك وفقاً لتعليم القدماء كبطليموس ومَن تبعهُ الذين جعلوا الارض سبعة اقسام دعوها اقاليم وهي على شكل بسيطة. فافضل هذه الاقاليم الاربعة التي بين اقليمي الشمال والجنوب

الوانهم وانسدلت شعورهم فعدموا بهذا دقّة الافهام وتقوب الخواطر وغلب عليهم الجهل والبلادة وفشا فيهم العمى والغباوة كالصقالبة والبُرْغُر ومن اتّصل بهم

ومن كان منهم ساكناً قريباً من خطّ معدّل النهار وخلقهُ الى نهاية المعمور في الجنوب فطول مقـارنة الشمس لسُمت رؤوسهم أسخنَ هواءهم وسخّف جوّهم فصارت لذلك امزجتهم حارّة واخلاطهم محرقة فاسودّت الوانهم وتقلقلت شعورهم فعـدموا بهذا وجاحة (١ الاحلام وثبوت البصائر وغلب عليهم الطيش وفشا فيهم النوك والجهل مثل من كان من السودان ساكناً باقصى بلاد الحبشة والنوبة والزنج وغيرها

واماً (الجلالقة والبرابرة) وسائر سكّان اكناف المغرب من هذه الطبقة فأمم خصّها الله تعـالى بالطغيان والجهل وعمّها بالعدوان والظلم (٢ على انهم لم يوغلوا في الشمال فتلحقهم آفة البـلد ولا تمكّنوا من الجنوب فتقصر بهم طبيعة الموضع بل مساكنهم قريبة من البلاد المعتدلة الهواء. فاماً الجلالقة فساكنهم في مغارب بعض الاقليم الخامس ومـا يتصل بهِ من بعض الاقليم السادس واماً البرابر فساكنهم في مغارب بعض الاقليم الثاني وما يتصل بهِ من الاقليم الثالث (6) وبعض الاقليم الرابع ولكنّ الله تعالى يختصّ برحمته من يشاء ويعدل بنعمته عمّن يشاء.

واماً سائر من لم اذكرهُ بشيء من هـذه الطبقة فهم أسوة هؤلاء في الجهل وان اختلفت مراتبهم فيـهِ وتباينت قِسَمُهم منهُ لأنّهم اجمعين مشتركون فيما ذكرنا منهم من انّهم لم يستعملوا افكارهم في الحكمة ولا راضوا انفسهم بتعلّم الفلسفة الّا ان جمهورهم مع هذا وهم اهل المدن وخلافهم من اهل البادية لا يخلون حيثما كانوا من مشارق الارض ومغاربها وجنوبها وشمالهـا من سياسة ملوكيّة تضبطهم وناموس الهي يملكهم ولا يشذّ عن هذا النظام الانساني ولا يخرج عن هذا التأليف الاليف العقل الّا بعض قطّان الصحارى وسكّان الفلوات والفيافي كرماغ البجّة وهمج عانة وغثاء الزنج وما اشبههم

---

١) في الاصل رجاجة

٢) لم يُصب المؤلف بنسبتهِ اليهِ تعالى هذه الخصال وغاية ما يقال انّ تلك الامم اقلّ من سواها استعداداً للتمدّن. وكثير منها اليوم لا ينقصهُ شيء من اسباب الحضارة

[الباب الرابع: الامم التي عُنيت بالعلوم]

لمَّا الطبقة التي عُنيت بالعلوم فهم صفوة الله من خلقهِ ونخبتهُ من عبادهِ لأنَّهم صرفوا عنايتهم الى نيل فضائل النفس الناطقة العائمة لنوع الانسان والمقوّمة لطبعهِ وزهدوا فيما رغب فيهِ الصين والترك ومن نزع منزعهم من التنافس في اخلاق النفس الغضبيَّة والتفاخر بالقوى البهيميَّة اذ علموا ان البهائم تشركهم فيها وتفضلهم في كثير منهـا امَّا في الصنعة واحكام التصوير (١ و إتقان التشكيل فكالنحل المُحكمة لتسديس (٢ مخازن قوتها. والعنكبوت المتقنة لخيوط بيوتها وتجويد تناسب الدوائر المُتقاطِعة لها وغيرها من البهائم التي ظهرت منها الصنائع العجيبة والافاعيل الغريبة حتى ضربت العرب بها الامثال فقالت: « أَصنعُ من الرُّفة » وهي دودة تكون في الحمص ويبلغ من صنعها ان تصنع بيتاً مربَّعاً من دقائق العيدان . وقالوا: « أصنع من تَنُّوط (٣ » وهو طائر يبلغ رقتهُ في صنعهِ عشَّهُ متدلّياً من الشجرة . وامَّا في الجرأة والشجاعة (٤ فكالاسد والنمر وغيرهما من السباع التي تغاضى الانسان إقدامها ولا يدَّعي بسالتها. وكذلك ايضاً سائر القوى الحيوانيَّة من الجود والبخل وغيرهما فانَّ لبعض البهائم فيها مزيَّة على الانسان. وكذلك ضربت العرب الامثال فقالت: أنخى من ديك واجرأ من ليث ومن ذباب واختل من ذئب واخبث من ثعلب ومن ضبّ واخشع من كلب واظلم من حيَّة وأكذب من ذَرَّة ومن غلة ومن دبّ واجبن من نعامة واهدى من قطاة واحذر من عتعق وابخل من كلب وألحُّ من الحنَّى واجبن من صفرد واروغ من ثعلب واصبر من عَوْد وأجنُّ من ناب

وكذلك قوى الاجسام وصدق الحواس لا ينكر احدٌ انَّ حظّ بعض البهائم منها اوفر من حظّ الانسان. وكذلك قالت العرب في امثالها: ابصر من عُقاب ومن فرس. وأصحّ من ذئب ومن ظليم. واضبط من نملة فانَّها تحمل النواة وهي اضعافها واسمع من قراد ومن سِنَع ومن فَرَس بيهماء. واسمعُ من دُلدل وهو القنفذ الضخمة. واسرع من فرس. وسوى هذا ممَّا ضربوا فيهِ الامثال بانواع البهائم

١) في الاصل الصوّر

٢) في الاصل « فكل النحل . . . لتشديش » وهو غلط

٣) في الاصل قنوط وهو غلط وكذلك وقع بعض اغلاط في الامثال الآتية اصلحناها

فهـذا الغرض الشريف والمقصد الكريم من حبّ القوى الانسانيّة والكلف بالفضائل البشريّة والأنفة من مشاكلة البهائم والاباءة من مشابهة السباع. وكان اهل العلم مصابيح الدجى واعلام الهدى وسادة البشر وخيار الامم الـذين فهموا غرض البارئ تعالى منهم وعرفوا الغـاية المنصوبة لهم فصلاة الله عليهم ويا وحشة الدنيا لفقدهم. واذ قدّمنا هـذه الطبقة التي عُنيت بالعلم ثماني امم وكان قصدنا التعريف بعلومهم والتنبيه على علمائهم فنشرع في ذلك على حسب ما نذهب اليه من الايجاز والاختصار ان شاء الله تعالى

[١ العلم في الهند]

امّا الأمّة الاولى وهي (الهند) فأمّة كثيرة القـدر عظيمة العدد فخمة المالك قد اعترف (8) لها بالحكمة واقرّ لهـا بالتبرّز في فنون المعارف جميع الملوك السالفة والقرون الماضية. وكان ملوك الصين يقولون: ان ملوك الدنيـا خمسة وسائر الناس اتبـاع فيذكرون ملك الصين وملك الهند وملك الترك وملك الفرس وملك الروم. وكانوا يسمّون ملك الصين « ملك الناس » لانّ اهل الصين اطوع النـاس للسلكة واشدّهم انقيادًا للسياسة. وكانوا يسمّون ملك الهند « ملك الحكمة » لفرط عنايته بالعلوم وتقدّمهم في جميع المعارف. وكانوا يسمّون ملك الترك « ملك السباع » لشجاعة الترك وشدّة بأسهم. [وكانوا يسمّون ملك الفرس (١ « ملك الملوك » لفخامة مملكته وجلالتها ونفاسة قدرهـا وعظم شأنها ولأنها حازت على الملوك وسط المعمور من الارض واختوت دون سائر الملوك على اكرم الاقـاليم. وكانوا يسمّون ملك الروم « ملك الرجال » لانّ الروم اجمل الناس وجوهاً واحسنهم اجساماً واشدّهم أسرًا

فكان الهند عند جميع الامم على ممرّ الدهور وتقادم الازمان معدن الحكمة وينبوع العدل والسياسة واهل الاحلام الراجحة والآراء الفـاضلة والامثال السائرة والنتائج الغريبة واللطائف العجيبة وهم وان كانت الوانهم في اوّل مراتب السواد فصاروا في ذلك من جملة السودان فقد جنّبهم الله تعـالى سوء اخلاق السودان (٢

١) هذا ناقص في الاصل

٢) في الاصل: سوء الاخلاق والسودان. وهو غلط

ودناءة بشيهم وسفاهة احلامهم وفضلهم على أمم كثيرة من السُّمر والبيض

ولبعض اهل العلم بأحكام النجوم في هـذا تعليل (١ وذلك انَّهم زعموا انَّ زُحل وعُطارد يتوليان بالقسمة لطبيعة الهند. فلولاية زحلَ لتدبيرهم لسودت الوانهم ولولاية عُطارد لذلك خلصت عقولهم ولطفت اذهـانهم مع مشاركة زُحل في صحة النظر وبعد الغور فكانوا لهـذا حيث هم من صفاء القرائح وسلامة التمييز وخالفوا بذلك سائر السودان من الزنج والنوبة والحبشان وسواهم. فلهـذا التحقوا بعلم العدد والاحكام (٩) بصناعة الهندسة ونالوا الحظّ الاوفى والقِدح المعلّى من معرفة حركات النجوم واسرار الفلك وسائر العلوم الرياضيَّة. وبعد هذا فانهم اعلم الناس بصناعة الطب وأبصرهم بقوى الادوية وطبائع المولّدات وخواصّ الموجودات والموكهم السيرة الفاضلة والملكات المحمودة والسياسات الكاملة

امَّا العلم الالهيّ فانهم مجمعون منـهُ على التوحيد لله عزّ وجلّ والتنزيه لهُ عن الاشراك بهِ (٢ ثمَّ هم مختلفون في سائر انواعـهِ فمنهم براهمة ومنهم صابئة. فامَّا البراهمة وهي فرقة قليلة العدد فيهم شريعة النسب عندهم فمنهم من يقول بحدوث العـالم ومنهم من يقول بأزليهِ الَّا انهم مجمعون على ابطال النبوّات وتحريم ذبائح الحيوان والمنع في ايلامهِ. واما الصابئـة وهم جمهور الهند ومعظمها فانَّها تقول بازل العالم وانهُ معلول بذات علَّة العالم التي هي الباريّ عزَّ وجلّ وتعظّم الكواكب وتصوّر لها صورًا تمثلها وتتقرَّب اليها بانواع القرابين على حسب مـا علموا من طبيعة كل كوكب منها ليستجلبوا بذلك قواهـا ويصرفوا في العالم السفلي على اختيارهم تدابيرها. ويسمّون كلّ صورة من هذه الصور باسماء. [ولهم في ازمان المبدارة وأدوار الكواكب واكوارها وفساد جميع المولّدات من العناصر الاربعـة عند كل اجتماع يكون للكواكب في رأس الحمل وفي عودة المولدات في كل دور (٣ آراء كثيرة ومذاهب متفرّقة على حسب ما بيناً في كتابنا في مقالات اهل الملل

١) هذا التعليل المبني على مزاعم اهل التنجيم والفراسة باطل لا صحة لهُ

٢) ليس هذا بصحيح فانَّ الشرك شائع في كل انحاء الهند. ولعلـهُ اراد ديانة البوذيين وفيها ايضاً ضروب من التعاليم الفاسدة الممزوجة بالاضاليل الوثنية

٣) هنا قد طرأ على الاصل بعض فساد

والنحل (١ ولبعد الهند من بلادنا واعتراض الممالك بيننا وبينهم قلّت عندنا تآليفهم فلم تصل الينا الّا طُرَف من علومهم ولا وردت علينا الّا نُبذ من مذاهبهم ولا سمعنا الّا بالقليل من علمائهم

ثمن مذاهب الهند في علوم النجوم المذاهب الثلثة المشهورة عنهم وهو مذهب السند هند ومذهب الازجير ومذهب الاركند (٢ ولم يصل (10) الينا منهم على التحصيل الّا مذهب السند هند وهو المذهب الذي تقلّده جماعة من الاسلام والّفوا فيه الازياج كمحمّد بن ابراهيم الفزاري وحنش بن عبد الله البغدادي ومحمد بن موسى الخوارزمي والحسين بن محمد المعروف بابن الآدمي وغيرهم. وتفسير السند هند « الدهر الداهر » كذلك حكى الحسين بن الآدمي في زيجه

تقول اصحاب (السند هند) انّ الكواكب السبعة واوجاتها وجوزهراتها (٣ تجتمع كلها في رأس الحمل خاصة في كلّ اربعة آلاف الف سنة وثلثمائة الف الف سنة وعشرين الف الف شمسيّة ويسمون هذه المدّة مدّة العالم لانّهم يزعمون انّ الكواكب واوجاتها وجوزهراتها متى اجتمعت في رأس الحمل فَسَدَ جميع المكوّنات في الارض وبقي العالم السفلي خراباً دهرًا طويلًا حتى تتفرّق الكواكب والاوجات والجوزهرات في البروج فاذا كان كذلك بدأ الكون وعادت حالة العالم السفلي الى الامر الاوّل هكذا ابدًا الى غير غاية عندهم. ولكلّ واحد من الكواكب والاوجات والجوزهرات ادوارٌ ما في هذه المدّة التي هي عندهم مدّة العالم قد ذكرتها في كتابي المؤلف لإصلاح حركات النجوم (٤

واما اصحاب (الازجير) فانهم وافقوا اصحاب السند هند الّا عدد مدّة العالم فانّ مدّتهم التي ذكروها انّ الكواكب واوجاتها وجوزهراتها تجتمع عندهم في رأس الحمل هي جزء من الف من مدّة السند هند وذلك عندهم تفسير الازجير

واما اصحاب (الاركند) فانهم خالفوا الفرقتين الاوّلتين (كذا) من حركات الكواكب وفي مدّة العالم خلافاً لم يبلغني حقيقتهُ

---

١) راجع المقدمة ٢) القاف هندية لم نطّلع على اصلها وسيأتي شرحها

٣) الأوج من مصطلحات علم النجوم ابعد نقطة من الخارج عن مركز الفلك. والجوزهر ويقال كوزهر عقدة الرأس والذنب في منطقة البروج ٤) اطلب المقدمة

ومما وصل الينا من علومهم في الموسيقى الكتاب المسمى بالهندية « نافر » وتفسيرهُ ثمار الحكمة فيه اصول اللحون وجوامع تآليف النغم

ومما وصل الينا من علومهم في اصلاح الاخلاق وتهذيب النفوس (11) كتاب كليلة ودمنة الذي جلبهُ برزويه الحكيم الفارسيّ من الهند الى انوشروان بن قباد (١ ابن فيروز ملك الفرس وترجمهُ لهُ من الهندية الى الفارسيَّة (٢ ثمَّ ترجمهُ في الاسلام عبدالله بن المقفَّع من اللغة الفارسيَّة الى اللغة العربيَّة وهو كتاب عظيم الفائدة شريف الغرض جليل المنفعة (٣

ومما وصل الينا من علومهم في العدد حساب الغبار (٤ الذي بسطهُ ابو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي وهو اوجز حساب وأحضرهُ واقربهُ تناولًا واسهلهُ مأخذًا وابدعهُ تركيباً يشهد للهند بذكاء الخواطر وحسن التواليد وبراعة الاختراع

ومما وصل الينا من نتائج فكرهم الصحيحة ومولّدات عقولهم السليمة وغرائب صنائعهم الفاضلة الشطرنج. وللهند فيما يتركّب من بيوتها من الاعداد المضاعفة رموزٌ لاسرارٍ يعتقدونها من تقدمة المعرفة وغوامض يتخلّونها من القوى الخارجة عن الطبيعة. ولعمري انَّ في ما يظهر عند استعمالها بتصريف قطعها من حسن التأليف وعجيب الترتيب لغرضاً جليلًا ومقصدًا فخماً لما في ذلك من التنبيه على وجه التحرُّز من الاعداء والاشارة الى صورة الحيلة في التخلُّص من المكاره. وكفى بهذا فائدة جمَّة وثمرة نافعة

ومما بلغنا ذكرهُ من علمائهم بهيئة العالم وتركيب الافلاك وحركات النجوم كنكه الهندي فانَّ ابا معشر جعفر بن عمر البلخيّ ذكر في كتاب الالوف (٥ انهُ المقدَّم في علم

---

١) في الاصل قناد

٢) يريد اللغة البهلويَّة التي عنها نقل عبدالله بن المقفَّع وكان سبقهُ الى نقلها الى الكلدانية البردوط بوذ في القرن السادس للمسيح

٣) اطلب طبعتنا لهذا الكتاب عن اقدم نسخة خطيَّة مؤرخة

٤) يريد حساب الاعداد الشرقيَّة التي اخذهُ العرب عن اهل الهند وقد ذكرنا في المشرق (ص ٢٣٦) انَّ السريان سبقوهم الى معرفتهِ ولعلَّ العرب اخذوهُ عن اهل الهند بواسطتهم. ثم اخذهُ الفرنج عن العرب

٥) الحاج خليفة (١ : ٥٠)

النجوم عند جميع العلماء من الهند في سالف الدهر (١ ولم يبلغني تحديد عصره ولا شيء من اخباره غير ما ذكرناه عنه

٢ العلم في الفرس

واما الأمة الثانية وهي الفرس فاهل الشرف الباذخ والعز الشامخ واوسط الامم دارًا واشرفها اقليماً وأنوسها ماركاً ولا نعلم أمة غيرها دام لها الملك وكانت لهم ملوك تجمعهم وروس تحامي عنهم مَنْ ناوأهم وتغلب بهم مَنْ غارهم وتدفع ظالمهم عن مظلومهم (12) وتحتلهم من الامور على ما فيه حظهم على اتصال ودوام وأحسن التئام وانتظام يأخذ ذلك آخرهم عن اولهم وغابرهم عن سالفهم

قال صاعد ولاهل العلم بتاريخ الامم تنازع في مدة مملكة الفرس ليس هذا موضعُ ذكرهِ وقد اتينا باختلافهم في ذلك في كتابنا في جوامع اخبار الامم من العرب والعجم (٢

واصحُّ ما قيل في ذلك انَّ من ابتداء ملك كيومرث بن ميم بن الاد بن سام ابن نوح ابي (٣ الفرس كلها الذي هو عندهم آدم ابو البشر عليه السلام الى ابتداء ملك منوشهر (٤ اوّل ملوك الطبقة الثانية من ملوك الفرس نحو الف سنة كاملة. ومن ملك منوشهر الى ابتداء ملك كيقباذ بن روع اوّل ملوك الطبقة الثالثة من ملوك الفرس قريب من مائتي عام. ومن ملك كيقباذ الى ابتداء ملك الطوائف وهي الطبقة الرابعة من ملوك الفرس وذلك عند مقتل الاسكندر لدارا بن دارا آخر ملوك الطبقة الثالثة من ملوك الفرس نحو الف سنة. ومن اوّل ملك الطوائف الى ابتداء ملك ازدشير بن بابك (٥ الساساني اوّل ملوك بني اسرائيل وهي الطبقة الخامسة من ملوك الفرس خمسمائة سنة واحدى وثلثون سنة. ومن ابتداء ملك ازدشير بن بابك (٥ الى انقضاء دولة الفرس من الارض وذلك عند قتل

١) هذه العبارة عن كنكه نقلها بحرفها ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطبّاء (٣ : ٢٢)
٢) اطلب المقدمة ٣) في الاصل « الى »
٤) والفرس يقولون منوچهر
٥) في الاصل بابل وهو تصحيف

يزدجرد بن شهريار زمان خلافة عثمان بن عفّان رضي الله عنهُ في سنة اثنتين وثلثين من الهجرة اربعمائة سنة وثلث وثلثون سنة . فذلك ثلثة آلاف سنة ومائة سنة واربع وستون سنة . وانما ذكرنا مدّة ملكهم . وان لم يكن من غرض هذا الكتاب لنرى بذلك فخامة مملكتهم وعظم سلطانهم . ولهذا ومثلهِ من سائر جلالتهم لستحقّ ملوكهم عند سائر الملوك ان يُقال لهم « ملوك الملوك » على حسب ما قدّمنا قبل ذلك

واعظم فضائل ملوك الفرس التي اشتهروا بها حسن السياسة وجود التدبير لاسيّما ملوك بني ساسان (13) منهم فهم ملوك لم يكن في سائر الاعصار مثلهم رجاحة (١ احلام وكرم سيرة واعتدال مملكة وبُعد صيت

ومن خواصّ الفرس عناية بالغة بصناعة الطبّ ومعرفة ثاقبة بأحكام النجوم وتأثيرها في العالم السفليّ وكانت لهم ارصاد للكواكب قديمة ومذاهب في حركاتها مختلفة فمن ذلك المذهب الذي الف عليهِ ابو المعشر جعفر بن محمد البلخيّ زيجهُ الكبير وذكر انهُ مذهب العلماء المتقدمين من اهل فارس وكثير من علماء سائر النواحي

وحكى انّ مدّة العالم عندهم جزء من اثني عشر الف من مدّة السند هند وذلك ثلثمائة الف سنة وستون الف سنة وانّ هذه المدّة عندهم هي التي تجتمع فيها اوساط الكواكب خاصّة في رأس الحمل من غير ان يكون معها اوجاتها وجوزهراتها . وأثنى ابو معشر على هذا المذهب وقال انّ اهل الحساب من فارس وبابل والهند والصين وأكثر الامم ممّن كانت لهُ معرفة بصناعة النجوم مجمعون على انّ اصحّ الأدوار دور هذه الفرقة وكانوا يسمونها بني العالم وبهذا الاسم كانت تسمّيها الامم الخالية من اهل هذه الصناعة على قديم الدهر . واما اهل زماننا فانّهم يسمونها بني اهل فارس

وللفرس كتب جليلة في احكام النجوم منها كتاب في صور درجات الفلك ينسب الى ازدرشت (٢ وكتاب التفسير وكتاب جاماستف (٣ وهو جليل جدًّا

١) في الاصل رجاجة ٢) كذا والمعروف زرادشت
٣) كذا في الاصل والصواب جاماسف

وذكر بعض علماء الاخبار انّ الفرس في اوّل امرها كانت موحّدة على دين نوح عليه السلام الى ان اتى بوذاسف المشرقي الى طهمورث ثالث ملوك الفرس بمذهب الحنفاء وهم الصابئون فقبلهُ منهُ وقهر الفرس على التسرُّع به فاعتقدوهُ نحو الف سنة وثمانمائة سنة الى ان تمجّسوا (١ جميعاً

وكان سبب تمجّسهم ان (14) زرادشت الفارسيّ ظهر في زمان يستاسب (٢ ملك الفرس وثلثين سنة خلت من ملكهِ ودعا الى دين المجوسيّة من تعظيم النار وسائر الانوار والقول بتركيب العالم من النور والظلام واعتقاد القدماء الخمسة التي هي عندهم: الباري (تعالى عمّا يقولون) وابليس والهيولى والزمان والمكان وغير ذلك من شريعة المجوسيّة. فقبل ذلك منهُ يستاسب وقام بدينهُ وقاتل الفرس عليهِ حتّى انقادوا جميعاً اليهِ ورفضوا دين الصابئة واعتقدوا زرادشت نبيًّا مرسلًا من عند الله عزّ وجلّ اليهم ولم يزالوا على دينهِ وملتزمين لشريعتهِ قريباً من الف سنة وثلثمائة سنة الى ان ضعضع ملكهم عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنهُ واحتوى على المدائن قاعدة عزّهم وطردهم عن العراق وما يتّصل بها الى بلاد خراسان ثمّ استأصل (عثمان) بقيّة ملكهم بقتل يزدجرد بن شهريار آخر ملوكهم في خلافتهِ وذلك سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة وباد منهم خلق عظيم في الحروب الواقعة بينهم وبين المسلمين في يوم القادسيّة ويوم جَلُولاء (٣ويوم نهاوَنْد وغيرها واسلم منهم جماعة وبقيت بقيّتهم على دين المجوسيّة الى الآن اهل ذمّة كذمّة اليهود والنصارى بالعراق والاهواز وبلاد فارس واصبهان وخراسان وغيرها من مملكة الفرس قبل الاسلام

٣ العلم عند الكلدان

واما الامّة الثالثة وهم الكلدانيون فكانت امّة قديمة الرئاسة نبيهة الملوك كان منهم النمارذة الجبابرة الذين كان اوّلهم النمرود بن كوش بن حام باني المجدل الذي ذكرهُ الله تعالى في قولهِ (٤: قد مكرَ الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخرَّ عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون

١) التمجّس الدين بالمجوسية وهي عبادة النار والشمس
٢) ويقال بِشْتاشْف وكيستاسب وكبتاسف
٣) في الاصل حلولاء غلط ٤) اطلب سورة النحل (العدد ٢٨)

وحكى ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني المعروف بابن ذي الدمينة(١ صاحب كتاب سرائر الحكمة وكتاب الاكليل وغيرهما انَّ ارتفاع سمك للجدل كان فيما ذكرهُ اهل العلم خمسة آلاف (15) ذراع وكان عرضهُ الف وخمسمائة ذراع. ويزعم البابليُّون انَّ هـذا النمرود البابليّ باني الصرح كان اوَّل ملوك الارض بعد الطوفان وكان منهم نمرود ابراهيم (٢ عليهِ السلام وهو النمرود بن كنعان بن سنحاريب (٣ بن النمرود الاكبر باني الصرح. وكان منهم بخت نصر بن مروزاذان ابن سنحاريب (٣ من ولد نمرود الاصغر بن كنعان الذي غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقاً عظيماً وسبى بقيَّتهم وغزا مصر وافتتحها ودوَّخ كثيراً من البلدان ولم يزل ملك بخت نصر ببنـابل وجميع بلاد الكلدانيين الى ان ظهر عليهم الفرس وغلبوهم على مملكتهم وابادوا كثيراً منهم فدرست اخبارهم وطمست آثارهم

وكان من الكلدانيين علماء من اجلّ الناس فضلاً وحكماً متوسّعون في فنون المعارف من المهن التعليميَّة والعلوم الرياضيَّة والالهيَّة . وكانت لهم علوم بارصاد الكواكب وتحقُّق بعلم اسرار الفلك ومعرفة مشهورة بطبائع النجوم واحكامها وخواصّ المولَّدات وقواها. وهم نهجوا لاهل الشقّ الآخر من معمور الارض الطريق الى تدبير الهياكل (٤ لاستجلاب قوى الكواكب واظهار طبائعها وطرح شعاعاتها عليها بانواع القرابين المؤلفة لها وضروب التدابير المخصوصة بها فظهرت منهم الافاعيل الغريبة والنتائج العجيبة من انشاء الطلسمات وغيرها من صناعة السرّ

واشهر علمائهم عندنا واجلُّهم هو هرمس البابليّ وكان في عهد سقراط الفيلسوف اليوناني. وذكر عنهُ ابو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي في كتاب الالوف انهُ هو الذي صحَّح كثيراً من كتب الاوائل في علوم النجوم وغيرهـا من اصناف الفلسفة ممَّا كان فسد وانهُ صنَّف كتباً كثيرة في علوم شتَّى. قال ابو معشر: والهرامس جماعة شتَّى منهم الهرمس الذي كان قبـل الطوفان الذي يزعم العبرانيون انهُ خنوخ النبي وهو ادريس عليهِ السلام. وكان بعد الطوفان (16) منهم عدَّة ذوو معرفة وتميز

---

١) ويعرف بابن الحائك توفي سنة ٣٣٤ ﻫ (٩٤٥ م)

٢) لم يأتِ في الآثار القديمة ذكر نمرود آخر غير البابلي ٣) في الاصل سنجادب

٤) يريد الهياكل ذات الطبقات السبع التي كانوا يبنونها للبأرات السبع

وكان المتقدّم منهم اثنان احدهما البابليّ الذي ذكرنا والآخر تلميذ فيثاغورس الحكيم من سكّان مصر

قال صاعد: وقد وصل الينا من مذهب هرمس البابليّ ما دلّ على تقدّمه في العلم من ذلك مذهبه في مطارح شعاعات الكواكب ومذهبهُ في قسمة بيوت الفلك. ومن ذلك كتبهُ في احكام النجوم مثل كتاب الطول وكتاب العرض وكتاب قضيب الذهب

ومن علمائهم بعد هرمس برجس صاحب كتاب اسرار النجوم في معرفة الفلك والدول والملاحم. ومنهم واليس صاحب كتاب الصور وكتاب اليرندج المؤلف في المواليد وتحاويلها والمدخل الى ذلك وكان ملكاً. ومنهم اصطفن البابليّ لهُ كتاب جليل في احكام النجوم وكان عند شعيب النبيّ عليه السلام

ولم يصل الينا من مذهب البابليين في حركات النجوم وصورة هيئة الفلك مذهب مستقصى ولا جملة (١ ولا عندنا من آدابهم في ذلك ولا من ارصادهم غير الارصاد التي نقلها عنهم بطلميوس اليوناني القلوذي في كتاب المجسطي فانهُ اضطرّ اليها في تصحيح حركات الكواكب المتحيرة اذ لم يجد لاصحابه اليونانيين في ذلك ارصاداً يثق بها

(لهُ بقيّة)

تاريخ آداب اللغة العربيّة

نظر انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

ظهر هذا التأليف حديثاً وقد دبّجهُ يراع كاتب اغنى بمؤلفاته المكاتب الشرقيّة فاستحقّ ان يُعدّ بين اهل بلادنا كمثال النشاط والبحث وهو الاديب جرجي افندي زيدان منشئ الهلال. وقد اقبل الادباء على هذا المصنّف الجديد إقبالهم على المصنّفات السابقة فاثنوا عليه الثناء الطيّب الذي هو جديرٌ بهِ. ولسنا نشذّ عن هذه

---

١) قد اكتشف الاثريّون آثاراً فلكيّة عديدة في جملة المخطوطات المسمارية ونشروها بالطبع منهم الآباء اليسوعيّون الالمان سترابمر وبابنغ وكوغلر